الحياة الزوجية
بعد أول مولود



مكتبة لكل بيت

سامي علان







الحياة الزوجية
بعد
أول مولود



الحياة الزوجية
بعد
أول مولود

سامي علان

الطبعة العربية - 2006

مكتبة لكل بيت

عمـان / الأردن - شـارع الملك حسـين - تلفاكـس: ٤٦٢٦٦٢٦
ص.ب ٥٢٠٦٤٦ الرمـز البريـدي ١١١٥٢

الحياة الزوجية بعد أول مولود



حواء وزوجها

لا أعلم لما تعتني حواء بزوجها في أول الحياة الزوجية ، ويكون هو محور حياتها ،ومركز اهتمامها!!!فتعتني بزينتها ،ورشاقتها من أجل كسب قلبه ،بل إنها تتخطى المستحيل لأجل إرضائه،ولكنها بمجرد ما ترزق بأول مولود حتى تبدأ في إهمال زينتها ورشاقتها فتأخذ في التهام الدهون والسكريات والنشويات بحجة تغذية الطفل وإرضاعه،فيزداد وزنها يوما بعد يوم!!فذلك الشعر الحريري الناعم أصبح كأنه منشة تنظيف قديمة ،وقد يحلو لها أن تتأنق فتضع عليه منديلا وتشده إلى الخلف،وذلك الفستان الحريري الأخضر الذي كان يعجب زوجها قد علاه الغبار داخل الصوان،واستبدلته بقمصان النوم الفضفاضة فبدت وكأنها فلاحة في وسط الغيط .

فهي لم تعد تحتمل الفساتين الضيقة لأن الخصر النحيل الذي كان يتغزل به الزوج قد دفن بين ركام الشحوم الهائلة .

وتلك الرائحة العطرية الحالمة كانت تفوح منها ،فتطرب قلب زوجها قد نافستها رائحة الحليب المختمر المنسكب على الملابس.

وذلك الصوت الناعم الذي كان يترنم أعذب الكلمات قد أصبح صوتا أجشا ينعق بكلمات التأفف والتذمر والتعب .

وغرفة النوم التي كانت تحمل أجمل الذكريات تحولت إلى مستشفى للأطفال فالحفائظ موضوعة فوق التسريحة ، وعلب الحليب مصفوفة على أرفف الدولاب ،والأدوية مبعثرة على الخزانة الصغيرة الموضوعة بجانب السرير.

إن تغيير الحال وانقلاب الحياة الزوجية رأسا على عقب بعد أول مولود يجعل آدم يفر هاربا من جحيم الفوضى- وحق له- انه يفر إلى المقاهي،ومنتجعات الأصدقاء،وقد يزين له البعض السفر إلى الخارج لرؤية مباهج الحياة، وهكذا يصبح الزوج رفيقا للطيور المهاجرة.

وتظل حواء بعد ذلك تحكي مأساتها مع هذا الزوج الفار الذي لا يعرف قيمة الحياة الزوجية،ونسيت أنها بطلة هذه المأساة وهي كاتبة النص ومخرجة القصة .

الطفل الأول.. ونصائح هامة للزوج!

تعتبر المشاكل الزوجية الناجمة عن استقبال أول مولود نماذج عادية موجودة بين كل زوجين في جميع أنحاء العالم، فهي تتشابه في جميع المراحل بدءا من شعور الزوجية بأن المسؤولية الكبرى تقع على عاتقها مرورا بالإرهاق الذي يصيب المرأة أثناء شهور الحمل والمشاكل الجنسية التي تتزامن مع فترة الحمل.

أما عن كيفية تدخل الطفل وإسهامه في المشاكل الزوجية فذلك يحدث بشكل بسيط. تكون المرأة حبيسة المنزل خلال الأشهر الأولى للولادة، ويضاف إلى واجبها الأساسي غسيل الطفل الجديد وإرضاعه بالإضافة إلى تنظيف

الطفل وتغيير الحفاظات. كذلك التغييرات العاطفية التي تحدث للمرأة خلال مراحل الولادة الاولى، اضافة إلى شعورها بالغيرة من الرجل الذي لا زال باستطاعته التحرك بحرية والخروج للعمل. كل هذه العوامل تؤدي إلى تراكم المشاكل الزوجية واحتباسها حتى تأتي عطلة نهاية الأسبوع حيث يبقى الزوجان في المنزل، فتقوم الزوجة بإفراغ كل هذه التراكمات على شكل خلاف زوجي على اتفه الأسباب. الاتجاه الصحيح لحل هذه التعقيدات التي تحدث بعد ولادة الطفل الأول يكون بتخلي الزوج عن كبريائه الذكري والبدء بالمشاركة في تربية الطفل. حيث أن الزوجة عندما تشاهد زوجها يقوم بمساعدتها بالعناية بالطفل فان ذلك سيعمق العلاقة بين الزوجين ويوثق أواصر الود والمشاركة.

كذلك لا يمكن للرجل أن يتخيل متعة العناية بطفله إذ انه يعتقد أن هذا العمل تقوم به النساء فقط، نضيف هنا أن العلم الحديث توصل إلى أن عناية الوالد بطفله تعمق مشاعر الأبوة والارتباط بينهما. يضيف الخبراء أن الصبر والروية هما

الحل الأنسب لمشاكل بعد الولادة إذ أنها تبدأ بالانحلال والتفكك بعد الأسابيع الأولى للولادة، حتى ممارسة الجنس قد يعود النشاط الجنسي بين الأزواج إلى وضعة الطبيعي بعد انقضاء ستة أسابيع على الولادة. ومن جانب آخر وبخصوص التقلبات الانفعالية، التي تمر بها الحامل في فترة الحمل وخصوصا الحمل للمرة الأولى، تقول د. لوري تيت الطبيبة النفسية بأحد مستشفيات نيويورك إن هذه التقلبات يمكن أن توجد أزمات عائلية شديدة قد يمتد أثرها إلى فترات طويلة عقب انقضاء تلك الفترة، من هنا تنصح الطبيبة الأميركية بالعمل على الحد من آثار تغير الحالة المزاجية باتباع الآتي:

١- اخبري زوجك عن طبيعة تلك الحالة وعن ضرورة تمتعه بصدر أرحب في مواجهتها، فيجب أن يعلم أن تكرار تلك التقلبات ينتج عن تغير الهرمونات في الجسم.

٢- تقبلي ما تكونين عليه من تغير مستمر فالحمل يرتبط بتغير في الشكل والوزن كما يرتبط بمشاعر سلبية مثل الإجهاد وامتلاء البطن والدوار والغثيان، وكلها مشاعر

لا تضفي شعورا بالراحة أو السعادة. حددي مع زوجك موعدا لمناقشته في المشكلات الصعبة تكونين فيه أقل معاناة منها أو تجنبي مناقشتها وأخبريه بحساسيتك للمناقشة خلال هذه الفترة.

٣- يمكنك مناقشة كل مخاوفك مع الأقارب والأصدقاء فهذا يذهب عنك الشعور بالتوتر، كذلك اشغلي نفسك بالقراءة عن الحمل وبمتابعة الطبيب للحصول على ما يكفي من معلومات.

٤- جنبي نفسك مسببات التوتر فالشعور بالجوع والتعب ونقص النوم كل ذلك يؤدي لتقلب الانفعال، واحصلي على قدر كاف من النوم، وعلى غذاء متوازن وخصصي نصف ساعة يوميا لممارسة نشاط تحبينه.

٥- امنحي لنفسك فترة للراحة، فإذا وجدت أنك قد توترت أثناء المناقشة اعتذري عنها واتركي المكان إلى حجرة أخرى. تنفسي بعمق واشغلي نفسك بالقراءة.

٦- اخبري الأسرة أن تقوم بتنبيهك إذا ما بدأوا في ملاحظة تقلب انفعالك لضرورة تغيير ما تقومين به.

٧- سيري لمسافات، فالسير يحسن الحالة الانفعالية، ويمكنك ممارسته كلما شعرت بالتغير الانفعالي

ماذا تتمني عندما ترزق بمولود

اعتكفت على قراءة كتاب جديد للدكتور / يوسف القرضاوي - يتحدث فيه عن الشيخ محمد الغزالي خلال نصف قرن من الدعوة، ولقد لفتت نظري فقرة في الكتاب عندما رزق والده الشيخ " أحمد السقا " بمولود فأسماه " محمد الغزالي" تيمناً بحجة الإسلام "أبوحامد الغزالي"

وكان أمله منذ رزق بطفله أن يكون وارثاً للغزالي، فأسماه هذا الاسم المركب " محمد الغزالي " فالغزالي جزء م اسمه وليس لقباً للعائلة كما يتوهم البعض، ثم قال الدكتور القرضاوي معلقاً على هذه الحادثة:

(ولم تخيب الأقدار ظن الوالد الطيب، فإذا " غزالي القرن الرابع عشر " يحمل روح "غزالي القرن الخامس " في إحياء الدين وتجديده، وبعث الحياة في جسد الأمة الهامد، على أساس من تعاليمه، وإن كان في كل من " الغزاليين " ما ليس في الآخر،وقد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل، والله يهب من فضله ما يشاء لمن يشاء (والله ذو الفضل العظيم).

نحن نتساءل بعد هذه المقدمة ماذا نتمنى عندما نرزق بمولود جديد ؟

إن ما يهم أكثر الآباء والأمهات هو تأمين الحياة المستقبلية لأبنائهم، وهذه قد تكفل بها الله تعالي ولكنهم لا يفكرون عادة بأن يكون ابنهم نجماً من نجوم الخير والدعوة وخدمة الإسلام وتجديد الدين لهذه الأمة، وهذا أهم من تأمين الطعام والشراب والمسكن للأبناء، إن بناء الروح والاهتمام بعقل الطفل وفكره وصرف الأموال من أجل ذلك أهم شيء لتحقيق نجومية هذا الطفل في المستقبل،ولو تتبعنا سيرة

الناجحين والعظماء والعلماء لوجدنا أن لآبائهم وأمهاتهم الدور الأكبر في تهيئة الأجواء لهم ليكونوا قادة الأمة.

إن الشيخ " محمد الغزالي " – رحمه الله – لم يخيب ظن والده به عندما سماه، فقد كان لديه حسن إيماني مرهف فيقول عن نفسه: قلت يوماً لرجل تعود السكر : ألا تتوب إلي الله ؟ فنظر إلي بانكسار، ودمعت عيناه، وقال :أدع الله لي ؟

تأملت في حال الرجل،ورق قلبي : إن بكاؤه شعور بمدي تفريطه في جنب الله وحزنه علي مخالفته، ورغبته في العودة إليه.

(إنه مؤمن يقيناً، ولكنه مبتلي ! وهو ينشد العافية ويستعين بي علي تقريبها ،قلت لنفسي :

لقد تكون حالي مثل حال هذا الرجل أو أسوأ، صحيح أنني لم أذق الخمر قط، فإن البيئة التي عشت فيها لا تعرفها، لكني ربما تعاطيت من خمر الغفلة ما جعلني اذهل عن ربي كثيراً، وأنسي حقوقه.

إنـه يـبكي لتقصـيره ،وأنا وأمـثالي لا نـبكي علـي تقصيرنا ، قد نكون بأنفسنا مخدوعين! وأقبلت علي الرجل الـذي يطلـب مـني الدعـاء ليترك الخمـر ، قلـت له تعـال نـدع لأنفسـنا معـاً : (ربـنا ظلمـنا أنفسـنا وأن لم تغفـر لـنا وترحمـنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف : ٢٣

بمـثل هـذه المواقـف ومواقـف كـثيرة للشـيخ رحمـه الله ليـتأمل كـل واحـد مـنا كـيف حقـق الله أمنـية والـده عـندما أسماه باسم كـان يـأمل منه أن يكون حقيقة ، بل أنـه اعتني بتصـحيح المفاهـيم وتوجـيه الطاقـات لخدمـة الديـن والإسـلام بطـريقة صـحيحة ، حتى أن الدكتور القرضاوي ذكر موقفين له ، وهما كما يذكرهما الغزالي فيقول: (وقد رأيت صيدلياً مشـغولاً يبحـث قضـية " صـلاة تحـية المسـجد" في أثـناء خطـبة الجمعة ، ومهتماً بترجيح مذهب علي مذهب ، فقلت له: لماذا لا تنصر الإسلام في ميدانك ، وتدع هذا الموضوع لأهله؟

إن الإسـلام في مـيدان الـدواء مهـزوم! ولـو أراد أعـداء الإسـلام أن يسـمموا أمته في هـذا الميدان لفعلوا ، ولعجزتم عن

مقاومتهم! أفما كان الأولى بك وبإخوانك أن تصنعوا شيئاً لدينكم في ميدان خلا منه، بدل الدخول في موازنة بين الشافعي ومالك!؟ وسألني طالب بأحد أقسام الكيمياء عن موضوع شائك في علم الكلام! فقلت في نفسي: إن جائزة " نوبل " لهذا العام قسمت بين نفر من علماء الكيمياء ليس فيهم عربي واحد وحاجة المسلمين إلي الاستجار في علوم الكيمياء ماسة، وقد أوردت في بعض كتبي كيف أباد الروس قرية أفغانية عندما شنوا عليها حرباً كيماوية، وذهب الضحايا في صمت، وتسامح جمهور المسلمين بالنبأ، وهولا يدري شيئاً عما كان أو يكون، نلاحظ من حواره مع الدعاة أنه يريد أن يوجههم إلي الاتجاه الصحيح لخدمة الدين ونكررها مرة أخري بأن الله لم يخيب ظن والده به وندعو كل أب أو أم يرزقان بمولود أن يتمنيا لمولودهما خيراً في خدمة الدين ويحسنا الظن بالله، فإن الله لا يخيب ظن عبده ن كما أن للغزالي ـ رحمه الله ـ بعض الهفوات وقد ذكرها الدكتور / القرضاوي في ذات الكتاب، فلمن يريد التعرف عليه من قرب فليقرأ

كتاب " الشيخ محمد الغزالي ـ نصف قرن من الدعوة " كما عرفته.

عندما يدخل الزوجان عشهما الجديد ، وتستقر حياتهما ، يعتادا الحياة على هذه الوتيرة الجميلة ، ويشعر كل منهما بأن الطرف الآخر مصدر سعادته واستقراره ، وهكذا تسير حياتهما في البداية ....

وعندما يدخل حياتهما الجميلة أول مولود بإطلالته البهية تبدأ التغيرات لا شعورياً ، وتبدأ الاتهامات بالتقصير والتي يغلب عليها في كثير من الأحيان التكتم ، فكل منهما يحدث نفسه بأن نصفه الآخر قد تغير ، وأنه لم يعد كما كان في بداية حياتهما الزوجية !

قد يغفل الزوجان عن حقيقة مهمة ، وهي أن الزواج في البداية وقبل الأطفال كانت مسئولياته بسيطة للطرفين ، وكان الهدوء مسيطراً على أجواء البيت ، وكانت النفقات يسيرة ، وكانت الزوجة تنام ملء جفنيها وتستيقظ نشيطة ، وعلى أتم استعداد لتلبية طلبات الزوج والعمل على راحته ،

والزوج كذلك فقد كان إنفاقه على البيت محدوداً ، ولكن بمجيء الصغير تغير كل شيء، ويتغير الحال شيئاً فشيئاً مع إطلالة كل طفل جديد للعائلة السعيدة .

إلى الزوج :.

تجرد قليلاً من أنانيتك ، وفكر بعقلانية أكثر ، وقرر ماذا تريد من زوجتك ، فهي على أتم استعداد لإرضائك ، فهل تريد زوجة عاقلة ، ومربية فاضلة لأولادك ، وربة بيت ماهرة ؟! أم تريدها تافهة ، أنانية ، لا هم لها سوى الأصباغ والمساحيق ، ومتابعة آخر أخبار الموضة والأزياء ؟!

قد تقول: أريدها أن تجمع بين الاثنين، ولكننا نجيبك : لن تستطيع أي امرأة أن تمزق نفسها بين المتناقضات ، وهذا مستحيل في عالمنا، فمتطلبات الحياة صعبة مع وجود الأطفال، ولا مجال للمقارنة بين المرأة قبل وجود الأطفال وبعد أن امتلأ البيت بصخبهم وضجيجهم.

إلى الزوجة :.

عندما تتذكرين رقته معك وطيبته الشديدة في أول عهدك بالزواج ، فلا تحدثي نفسك الآن بأنه قد تغير، وأن قدرك لديه لم يعد كالسابق، فالذي تغير هو الظروف وليس الزوج ، فعندما جمعكما بيت الزوجية، كنت مسئوليته الوحيدة في البيت ، وكان من الطبيعي أن ينفذ لك كل ما تطلبين لأنه في ذلك الوقت كان ممكناً، ولكن الآن ومع وجود الأطفال فقد تغير كل شيء ، وذلك ليس سوءاً منه بل على العكس ، فقد دخل إلى حياته أفراد جدد ، ويجب عليه أن يتحمل مسئوليتهم ، ويجب عليكِ أن تساعديه وتشدي من أزره ، فمسئولية الصغار أصعب من مسئولية الزوجة ، فهم بحاجة إلى متابعة مستمرة من جميع نواحي حياتهم، مادية،وصحية، وتربوية، واجتماعية، ولا ننسى مسئولية أكبرهم عندما يلتحق بالمدرسة ،وما يترتب على ذلك من مواصلات، ونفقات، وغيرها .

ما أجمل الحياة بوجود أطفال ، وما أروع صخبهم وضجيجهم ، وكم من الأزواج محرومون من هذه النعمة ، فلا تعكرا صفوكما بتصيد الزلات ، والتفكير بالهفوات ، والتمسا العذر لبعضكما ، خاصة إذا كان النقص من أحدكما تجاه الآخر يقابله اهتمام بأحد الصغار ، ولا يتخيل أحدكما أنه من الممكن استمرار الحياة الزوجية على شكل واحد قبل الأطفال وبعده.

ضمانات لاستقرار الأسرة

أولاً: موافقة الفطرة:

كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل السعادة في الأسرة والاستقرار لها منوط بالقيام بالوظائف والتكاليف التي وزعها على أفرادها. فإذا كان الرجل رجلاً وفي مكانه الصحيح قائماً بما عليه من واجبات والمرأة امرأة وفي مكانها السليم من حيث الخلق والتشريع وقائمة بما أوجب الله عليها ،

وكذلك الأبناء أبناء حقيقيون قائمون بما أوجب الله عليهم من طاعة لوالديهم وحب وتقدير لهم.

أقول إذا كان كل واحد من هؤلاء في مكانه الصحيح استقامت أحوال الأسرة فإذا اختل شيء منها اختل الآخر. فلو تأبت المرأة مثلاً أن تنجب أولاداً بدعوى أن في هذا تعطيلاً لملاذها وشهوتها فإنها أول من تشقى بذلك نفسياً وروحياً.

وإذا قامت الزوجة بهذا الذي خلقها الله سبحانه من أجله فإنها مع شقائها وتعبها ووهنها تسعد أيما سعادة، وليس هناك سعادة عند المرأة تعادل إحساسها بتحرك الجنين في أحشائها، وبصراخ الطفل نحوها، وبسهرها ليلة في جوار سريره. مع تعبها العظيم من كل ذلك. ولكن الرب الرحيم جعل في هذه المشقات التي كتبها عليها كتابة كونية قدرية سعادة نفسية هائلة وهذا الأمر نفسه متحقق في طاعة الزوجة للواجبات الشرعية التي كلفها الله بها.

فسعادة المرأة في طاعة زوجها، وترك رأيها لرأيه وإذعانها أحياناً لرغباته وإرضائها له فليس هناك أسعد من زوجة وفية

مخلصة في كنف زوج بار مخلص عفيف - واليوم الذي تظن فيه المرأة أنها أصبحت نداً للرجل وأن رأيها يجب أن يكون قبل رأيه، وأن رأسها يجب أن تكون معادلة لرأسه أقول هذا الوقت تبدأ شقاوتها وتعاستها.

نخرج من كل هذا بفائدة هامة وهي أن نعلم جميعاً أن سعادتنا رجالاً ونساءً منوطة بأن نكون عند الأوامر الشرعية التي وزعها الله علينا فالرجل السعيد في حياته الزوجية هو الرجل القائم بالواجبات التي كلفه الله بها والمطالب بالحقوق التي أعطاها الله له، والمرأة السعيدة هي المرأة القائمة بالواجبات التي كلفها الله بها والمطالبة بالحقوق التي منحها الرب إياها. وأي إخلال أو اختلال بهذه الحقوق والواجبات الشرعية معناه الهدم للنظام الأسري وبالتالي الهدم للسعادة والاستقرار.

ثانياً: الحكمان عند الخلاف:

الزوج والزوجة قد يختلفان ويصل الخلاف إلى نقطة لا يستطيعان علاجها بمفردهما. وهنا أمر الله سبحانه وتعالى برد هذا الخلاف إلى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة.

قال تعالى: {وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريداً إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً}.

وذلك أن الفرد قد يملك القدرة أحياناً على حل مشاكل الآخرين ولكنه يعمى عن مشكلة نفسه. فمهما كان الرجل حكيماً عالماً فإنه في مشاكله الخاصة يكون أقل قدرة على الحل ولذلك نجد أن كثيراً من النساء ينجحون كثيراً في الصلح والتوفيق بين الناس، ولكنهم قد يفشلون أحياناً في حل مشاكلهم أنفسهم، ولذلك كان واجب الاستعانة بالآخرين وخاصة المرأة يساعدها كثيراً أن ينوب عنها في حل بعض مشاكلها المعقدة مع زوجها أن تلجأ إلى أب أو عم أو أخ يملك القدرة على فهم أمورها والوصول إلى حلول لمشاكلها مع

زوجها. فإذا عجز الزوج أن يصل مع زوجته إلى حل لمشكلة ما. فإن الواجب أن يرد هذه المشكلة إلى حكم من أهله وحكم من أهلها.

والحكمة في اختياره من الأهل ألا تنتشر أسرار البيوت، وأن لا يعير الأبناء بما كان من أخلاق في الآباء، فاللجوء إلى المحاكم والقضاة في كل مشاكل الزواج أمر في غاية الخطورة لأن علاقة الزوج بزوجته علاقة خاصة جداً، وتنشأ المشاكل كثيراً في هذه العلاقات الخاصة.

ونشر هذه العيوب في المحاكم وأمام القضاة والشهود إنما هو فضح للأسرار، وكسر للقلوب فحتى لو تم الصلح أمام القاضي فإن المشكلة ستبقى لأنه ولا بد أن يخرج إلى الناس أسراراً كان يحب كل من الزوج والزوجة أن تظلا مخفية ولذلك كان من رحمته وإرشاده سبحانه وتعالى أمرنا بدعوة الحكمين عند الخلاف المستعصي والأمر في بعث الحكمين قال بعض العلماء هو خطاب للزوجين، وقال آخرون بل خطاب لولي الأمر، قول ثالث إنه خطاب للمؤمنين الذي

يطلعون على ما حدث بين الزوجين من خلاف والصحيح أنه خطاب عام وذلك أن استقرار الزواج لا يهم الزوجين فقط وإنما يهم ولي الأمر، لأن هذا من شئون الرعية التي استرعاه الله إياها، ويهم كل مسلم لأن المؤمنين كالجسد الواحد ولا بد أن تفزع إذا اشتكى عضو، وشقاق الأزواج من أعظم الآلام والمشاكل ولذلك كان لا بد من الاهتمام به ولا شك أن مشاكل الزوجين تهمهما أولاً ولذلك وجب عليهما في المقام الأول أن يلجأ إلى الحكمين إذا تعذر عليهما الحل وبهذه الضمانة تبقى الأسرة الإسلامية في إطارها الصحيح من الاستقرار والثبوت .

ونستطيع أن نلخص هذه القواعد فيما يأتي:

(أ) أن يؤدى عقد الزواج بشروطه كما أمر الله سبحانه وتعالى من رضا وشهود، وولي، ومهر، وكفاءة وغير ذلك من شروط.

(ب) أن نمتنع عن كل ما يبطل هذا العقد كفقد شرط من الشروط السابقة أو نلجأ إلى نكاح محرم كنكاح الشغار والتحليل والنكاح المؤقت.

(ج) أن نحذر من أن نضع في عقد النكاح شرطاً ليس في كتاب الله كاشتراط العصمة وغير ذلك من الشروط الفاسدة التي تفسد العقد أو تمنع نفاذه وأن نوفي بالشروط التي التزمنا بها كما قال صلى الله عليه وسلم: [إن أحق الشروط بالوفاء ما استحللتم من الفروج].

(د) أن يقوم كل من الرجل والمرأة بالحقوق والواجبات التي كلفهم الله بها وأن يعلم كل منهما أن تعديه على حق الآخر إنما هدم لنظام رباني وهوتماماً كهدم الفطرة والخلق لأن الحكم من عند الله والخلق من عنده فكما خلق فهويحكم سبحانه تعالى كما قال جل وعلا: {له الخلق والأمر}، فكما أن الخلق له فالأمر له سبحانه وتعالى، وكل من عارض الخلق شقى وكذلك كل من عارض أمره سبحانه وتعالى شقى ولا بد.

(هـ) أن يعلم كل من الرجل والمرأة الفطرة التي فطرها الله سبحانه وتعالى عليهما، فإذا عرف المرء نفسه عرف كيف يعالجها ويقومها وإذا جهلها جهل سبل التقويم والعلاج بل والصلاح أيضاً، فكيف يسعد نفسه من يجهلها؟ وكذلك أن يعرف الرجل شيئاً عن طبيعة المرأة ونفسيتها، وأن تعرف المرأة شيئاً عن طبيعة الرجل الخاصة ونفسيته وكيف يحب وكيف يكره وهذا العلم ضروري لإحسان التعامل بين كل من المرأة والرجل.

(و) أن يلجأ الزوج والزوجة إذا استشرى بينهما خلاف إلى أقرب حكم ناصح من أهله ليساعدهما على الخروج من خلافهما وبذلك يضمنان سعادة وحلاوة لزواج إسلامي نظيف طاهر.

المولود الأول سبب الخلاف بين الزوجين

يندر في الواقع أن يعيش زوجان دهراً من عمرهما دون أن تطرأ في حياتهما مشكلات وخلافات.

ولذلك فعلينا أن نتقبل الخلافات الزوجية على أنه أمر لا مفر منه أو هو شر لا بد منه ولا يعني ذلك أن نستسلم للخلاف وألا نأبه له عند حدوثه فالخلاف شر وهو يعكر النفوس ويقتل بهجة الحياة الزوجية وعلينا أن نفر منه بكل سبيل ولكن ينبغي أيضاً أن لا نظن أن الكارثة قد وقعت عند أي خلاف مهما كان ويجب أن نعلم أيضاً أن لكل جرح دواء وعلينا أن نحاول دائماً ولا نيأس من علاج مطلقاً وفوق هذه القاعدة نستطيع أن نؤسس حياة زوجية سعيدة.

وهذه مجموعة من قواعد وإرشادات ونصائح أرجو إن اتبعها الزوجان أن يسعدا ويقضيا على كل خلاف ينشأ بينهما:

أولاً: إذا أردت أن تحكم حكماً صحيحاً في أي خلاف فضع نفسك موضع الآخر، وقدر ظروفه وإمكانياته تماماً ثم احكم عليه وبهذا تعلم موقفك أنت ممن يخالفك في شيء ما.

ثانياً: على الرجال أن يعلموا تماماً أن في المرأة، جنس المرأة عوجاً بوجه من الوجوه وهذا ليس فيه تعصب وإنما هو طبيعة الخلق والفطرة التي فطر الله المرأة عليها، ولا يمكن أن تكتمل المرأة من كل وجه خلقاً وطباعاً ولو أنها كانت كاملة لعبدها الرجال من دون الله عز وجل وهذا معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه وإن جئت تقيمه كسرته، وإن استمتعتم بهن استمتعم بهن وفيهن عوج]. وأخذ هذا الأمر على علاته يفيد الرجال كثيراً فافتراض الكمال في المرأة ومحاسبتها على هذا النحو يعني التغاضي عن كثير من النقص ضار بالمرأة والرجل كذلك. وهذا الذي لا بد وأن يعتور الحياة الزوجية ومطالبة المرأة بإكمال هذا النقص مطالبتها بالمستحيل.

ثالثاً: كم من الرجال من يرزقون زوجات هن أرجح منهم عقولاً وأكثر منهم صبراً وحكمة وأكثر منهم سداد رأي ولا يخرق هذا القاعدة العامة في الرجال والنساء ولا يعني هذا أيضاً أن تأخذ المرأة صلاحيات الرجل وأن يقف الرجل من عقد الزواج مكان المرأة لأن هذا يعني إفساداً للفطرة، وهدماً للسعادة الزوجية وأسلوب إصلاح المرأة لزوجها عند نشوزه وإعراضه هو النصح والاستعانة عليه بالأقربين كما قال تعالى: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير}، وأما أن تقوم المرأة بتقويم عوج زوجها ونشوزه وإعراضه بتعاليها عليه، وهجرها لفراشه أو بضربه وتأديبه فذلك هو غاية الفساد والإفساد.

رابعاً: الرجل الذي أعطى حق القوامة عليه الواجب الأول في أن يكون راعي وقواماً ولا يكون راعياً وقواماً إلا بأن يكون قدوة في نفسه، قادراً على تقويم غيره.

والقوامة لا تعني البطش والتعالي وإنما تعني الرعاية والحفظ والتربية والرأفة والرحمة ووضع كل أمر في موضعه شدة وليناً. ولا شك أن سوء استخدام الرجل لصلاحياته المعطاة له يؤدي إلى النقيض.

خامساً: الوسائل التي أعطاها الله وأرشد إليها الرجال لتقويم نشوز زوجاتهم يتلخص في الأمور الأربعة الآتية:

(أ) الوعظ: وهو كلام رقيق يصيب القلب والوعظ نافع للزوجة إذا جاء في الوقت المناسب بالقدر المناسب، وأما أن يجعل الرجل من نفسه خطيباً بالليل والنهار فذاك فساد وإفساد فالوعظ في التربية كالسم في الدواء قليله يفيد وكثيره يقتل الشعور والإحساس.

(ب) الهجران في المضاجع: وهو ترك فراش الزوجة وقت النوم فقط وهو نافع إذا لم تفلح الوسيلة السابقة.

(ج) الضرب: والمقصود به إيقاظ شعور امرأة بليدة الطبع لم تستفد شيئاً بالوسيلتين الآنفتين وهي وسيلة لا يلجأ إليها الأخيار عادة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما

اشتكى إليه بعض النساء من ضرب أزواجهم لهم وعظ الرجال وقال: [إنه قد طاف بآل محمد نساء يشتكين أزواجهن..] ثم قال: [وليس أولئك بخياركم] أي من يضرب زوجته.

وبالطبع فالمقصود بالضرب هو غير المبرح الذي يتقي صاحبه به الوجه وفي تحريم ضرب الوجه أحاديث كثيرة مشهورة.

(د) الاستعانة بالمصلحين من أقارب الزوج والزوجة. وهذا آخر المطاف إذا عجز الرجل عن التقويم فعليه أن يستعين بحكم من أهله وحكم من أهل زوجته فيكونا أقدر على تفهم مشاكلهما لأن صاحب المشكلة كثيراً ما يعمى عن حلها.

وفي هذه الأمور الأربعة الآنفة جاء قول الله تبارك وتعالى: {واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله

وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً}.

المرأة .. حينما تصبح أُمّاً

الأمومة رسالة مقدسة كُلفت المرأة بأدائها نظراً لكون دور الأمومة هو أدق أدوار الوظائف في الحياة. والمرأة ولكونها عاطفية بالطبع الفطرة يكون لها من عاطفتها الفياضة دافع يشدها إلى تحمل مهام هذا الدور ومشاكله. والأم وفي كل عصر من العصور كانت لها الأهمية القصوى في ذلك العصر وكانت الأمم المتقدمة تولي الأم اهتماماً خاصاً وتتخيرها وتنتقيها من بين مئات من النساء. فقد كان يتفق للرجل قبل الاسلام أن يقتني العديد من الجواري والزوجات ولكنه يحدد نسله في واحدة يكون على ثقة من عراقة أصلها وأصالة فرعها ولكن ذلك كله كان لحساب الولد لا لحساب الأم بما هي أم، ولكن الاسلام فتح أمام الأم آفاقاً جديدة أخرى تخص شخصها وكيانها الخاص. فمكانة الأم قبل الاسلام مكانة

آلـة الإنـتاج الـتي يحـرص عـلى أن تكـون سـليمة مسـتحكمة لكـي تنتج الإنتاج السليم. ومكانـة الأم بعـد الاسـلام مكانـة الواهبة للحياة بمـا يسـتلزم ذلـك مـن حقوق والـتزامات. ولذلـك فقد حولها الاسـلام إمكانيات واسعة وجعلها تحس بأنها تلد الولـد لنفسها وللمجتمع وليس للمجتمع فحسـب، وجعل الولد يشعر بأنه مدين بحياته ونشأته لـلأم ﮓ وبذلك ارتقـع بها من دائرتها الضيقة في الأمومة إلى أفق عـال مـن الـرفعة والمكانة. وأصدق دليل على ذلك مـا جـاء عن رسول الله (ص) أنـه قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات».

فهل هناك غاية في السمو أعلى من أن تكون الأم طريقاً للجنة ومـن أن يكـون رضـاؤها بابـاً يلـج منه المؤمـن إلى جنـات النعيم.

نعم الجنة التي وعد المتقون بها والتي هي غاية كل مسلم وحصيلة عمـر ينقضـي بـالخير والصـلاح تكـون تحـت أقـدام الأمهـات، وتكـون الأم هـي الطـريق المـؤدي إليها برضـاها عـن الولـد وبإرضـائها لهـا. فالاسـلام يعلم أن الأم وبما تكابده لأجل

وليدها من آلام ومحن وأسقام جديرة بأن تكون وسيلة لولدها في دخول الجنة، وأن يكون إرضاؤها شرطاً أساسياً من شروط الإيمان الكامل والإسلام الحقيقي، سواء أكانت الأم أرفع من الولد أصلاً أو دونه في الأصل والنسب فهي أم وكفى.

هذه هي حكمة الاسلام ورحمته تجاه الأم، فالاسلام لا يقر لولد مهما كان شريف الحسب والنسب أن يتطاول على أمه وإن كانت جارية. فحق الأمومة في شريعة الاسلام حق مقدس لا يتغير ولا يتبدل مهما اختلفت الظروف والأحوال. والواقع أن العقل والمنطق يؤيدان هذا ويؤكدانه. فإن الولد لا يمكن له أن ينال الحياة إلا بعد أن تغذيه الأم من دمها وبعد أن تحمله معها في أحشائها وتحميه في كل جارحة من جوارحها. ولا يمكن له أن يعيش أيضاً إلا إذا كفلته أمه في رعايتها وغذته من لبنها وأحلته في أحضانها.

وعلى هذا فإن الولد في الواقع قطعة من الأم قد انفصلت عنها وتكونت إلى جنين، فهل يمكن لبعض الشيء أن يعلو على بعضه؟ وهل يمكن للثمرة أن تسمو على الشجرة؟ وهل

يمكن للوردة أن تباهي الغصن؟ ولولا الغصن لما كان هناك زهرة على وجه الأرض. والاسلام لاحظ هذا ولاحظ المشاكل التي تحدث من جراء هذا الشعور الذي كان الأولاد يشعرون به قبل الاسلام تجاه الأم التي هي دونهم في الأصل والنسب، فأراد أن يخول الأم وأي أم مكانها الذي يمكنها من حفظ كيانها في كل المجالات والظروف، وتلزم أولادها الطاعة لها مهما اختلفت عنهم في الأصل والنسب. وقد كان رسول الله (ص) يكرر في أكثر من مناسبة قوله: (وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) مع أن أم الرسول (ص) كانت من أعرق اسر قريش وأطهرها نسباً وحسباً، وقد جاء في الروايات أيضاً أن رجلاً سأل رسول الله (ص) عن حق الوالدين فأجابه الرسول قائلاً: أمك ثم أمك، ثم أمك ثم أبوك.

فالأم بطبيعتها الأنثوية ورقتها الطبيعية تهب لوليدها من حنانها وعطفها أكثر مما يعطي الأب بل أكثر مما يتمكن أن يعطيه الأب، نظراً لتكوينه الخاص الذي لا يمكنه من الاندفاع وراء عواطفه في الوقت الذي تكون فيه الأم سريعة

الاندفاع وراء عواطفها قليلة التمكن من التحكم في مشاعرها. فعلى هذا فإن الولد يستهلك من عطف الأم وحنانها أكثر مما يستهلك من عطف الأب وحنانه، وإن كان الحب الواقعي عند الوالدين في حد سواء.

وهذا هو السبب في تأكيد رسول الله على حق الأم ثلاث مرات. ونحن لا ننكر أن للولد حقاً عند أمه وأن على الأم أيضاً أن تحسن تربية الولد وتغذي روحياته وتحميه من مهاوي الانزلاق بالمقدار الذي تمكنها منه قابلياتها ومعارفها. وعلى الأم أن تشعر بخطر مسئولياتها وهي تضطلع بدور الأمومة. وعليها أيضاً أن تعرف أنها مسئولة عن النشء الذي تنشئه أمام الله وأمام المجتمع. ولذلك فإن من ضرورات الأمومة الصالحة أن لا تكون الأم جاهلة لكي تتمكن من معرفة الطرق السليمة في التربية. وأنا لا أريد أن أقول أن على كل أم أن تأخذ دبلوماً من معاهد التربية مثلاً.

ولا أقصد مثل هذا من قريب أو بعيد ولكني أعني أن الأم يجب أن تكون بصيرةً بأمور دينها ومجتمعها، تتمكن من

تفهم المشاكل الاجتماعية بسهولة وتتمكن من معرفة الأخطار التي تترتب من جراء تلك المشاكل بسرعة لكي تجنب وليدها تلك المشاكل.

وعلى العموم فالأم يجب أن تكون واعية وعياً إسلامياً كاملاً لكي تتمكن من أن تنشىء وليدها على أسس الاسلام ومفاهيمه الواقعية.

الدلالات الاجتماعية والروحية في زواج محمد(ص)

إن اعتراض محمد الأساسي على عزل الحكمة عن الواقع الاجتماعي، والذي تجلى بصورة الترهبن، والميل للزهد المتطرف، والانقطاع عن أسباب الدنيا وظروف الحياة، هو مدخل حقيقي لتعليل جميع مراحل حياة محمد قبل النبوة وبعدها. ولذلك فإن الذين ينطلقون من فكرة إطلاقية التأمل عند محمد يقعون في وهم وخطأ كبيرين، ذلك لأنهم في هذه الحالة ينكرون الدور الواقعي القيادي للسلطة المحمدية الإسلامية، والذي كان مبنياً على العلم بواقع المجتمع، وبشؤونه، إضافةً إلى اجتيازه الشروط الروية الكبرى لتأدية الرسالة المقدسة.

ويندر أن تجتمع الواقعية السياسية والقيادية الجادة مع المثالية والتأملية واستلهام الوحي، على النحو المحمدي المعروف، لدى سواه من الأنبياء، وتلك ميزة محمد العظمى،

التي جعلت منه خاتم الأنبياء، لا بمعنى أنه آخر الأنبياء فقط، وإنما، بمعنى أنه اجتمعت في شخصه المزايا الجليلة لجميع الأنبياء، برهافة وشفافية عجيبة. ففيه رقة وسماحة عيسى، مثلما فيه قوة موسى (بدون خشونته)، وتدخل وحدة السمات النبوية المشهورة عند الأنبياء، في الطبيعة المحمدية في الضفيرة الروحية التي تعزز فيها اندماج الممارسة الواقعية بالتأملية الكبرى.

ولو لم يتحل بهذه المزية العالية، لكان الميل إلى اتهامه بالسحر طاغياً. ولكن حقائق الحياة برهنت، بما لبس فيه، على المعايشة المحمدية القوية للناس، في مختلف ضروب نشاطهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولم تكن المعايشة تلك ملامسةً رحيمة، أو نوعاً من التجمع الذي يشده إلى تلامذته وحوارييه، في إطار حلقات التربية الروحية والثقافية، وخلق الأنموذج الحواري الفاضل، بل كانت معايشةً من طراز الفعاليات الجماعية النشيطة، والهادفة، والمؤثرة، التي تركت ذكرها وصداها في نفوس البشر، مما زودته

بقوة اجتماعية متنامية بوجه الأعداء الخطيرين الذين أحكموا الطوق على محمد.

ويُعتبر زواجه بخديجة واحداً م أعظم الأدلة على أن محمداً كان عائشاً في صلب وعمق الحياة الاجتماعية، لأنه لم يكن - أصلاً - ينوي التخلي عنها سعياً وراء العزلة الاستلهامية، والتأملات الفريدة.

فالزواج منطلق اجتماعي رصين سوي، منسجم مع الصيغة السائدة للعائلة القرشية والعربية، وهو يرد - ابتداءً وانتهاءً - على كل الأقوال التي أرادت الافتراء على محمد بأنه ساحر، أو كاهن، أوبه مس من جنون، لأن الزواج، وتكوين الأسرة، عمل من أعمال العقل الاجتماعي، والنظام، والاعتزاز بتقاليد التنشئة العائلية، إضافة إلى ما يمله من تلبية حاجات إنسانية ضرورية. وفي زواج محمد بخديجة تكمن قيمة الانتباهات المحمدية إلى معنى شراكة الحياة بين الزوجين. لذلك جاء زواجاً ناجحاً بكل المواصفات الفردية والعامة،

فأدخل محمداً في المجرى العريض للحياة الاجتماعية بكل مسؤولياتها المتشعبة.

دمية العصر

حين كنت أقرأ السيرة النبوية، مراراً وتكراراً، كنت أتوقف فيما أتوقف عنده - مع دمى أم المؤمنين (عائشة) التي حملتها معها إلى بيت النبوة، أو(عرائسها) كما قيل في ذلك، تدليلاً من الراوين على صغر سنها حين بنى بها رسول الله (ص)..

فكنت أذكر طفولة البنات حين كن يصنعن من بعض قطع القماش أشكال (دمىً) و(عرائس)، ويبدو اهتمامهن بهذه الأشكال منصباً على ناحيتين: شكلاً وموضوعاً، أما (الشكل) فمن ناحية الرأس حين يكسينه شعراً مختلفاً ألوانه، ويسرحنه تسريحات شتى، ويرسمن الفم باللون الأحمر، وكذلك الوجنتين...! ثم يخططن الحواجب بدقة واعتناء، ويجملن كل ذلك قدر استطاعتهن ومعرفتهن.

وأما من ناحية (الموضوع) فيتخذن لها ما يشبه الفراش والدثار والوسادة...؟! فإذا مللن (اللعب) وضعن تلك (العرائس) في أحضانهن وربتن عليها بأيديهن تربيتاً خفيفاً، وكأنهن يساعدنها على النوم والإخلاد للراحة بعد عناء المداعبة والملاعبة، ثم يضعنها في فراشها وينصرفن عنها إلى أعمالهن!!!.

وهذا قبل أن تنتشر الدمى المتقنة الصنع، الجاهزة في حوانيت الألعاب والتسلية، والتي تزداد مع مرور الزمن خبرة في الإعداد واكتمالاً في الإتقان، إذ منها اليوم الضاحك والباكي والنطاق بكلمتي (بابا) و(ماما)، والسائر خطوات ... ، أو التي تقفل العينين عند التمدد وتفتحهما عند الجلوس أو الوقوف... إلى آخر ما هنالك من ابتكارات واهتمامات وتطورات.

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الشأن أن الفتاة التي (تلهو) بدميتها لا تكتفي لها بزي واحد بل تتخذ أكثر من لباس، تضعها جميعاً في علبة، أو غيرها، بترتيب وعناية، ثم

إنها إذا أرادت أن (تغير) لدميتها ثوبها، فلا تنزع عنها ما تلبسها بحضور الحاضرين، بل تتحي بها جانباً... !؟

وأيضاً... ، فإنها تتخذ لها أثواباً داخلية، شأن الأحياء!!!.

إذاً... فالدمى، أو العرائس، قديمة جداً، ومعروفة في التاريخ... حتى من قبل (دمى) ((عائشة)) استمرت قروناً وأجيالاً، وما أظنها نبتت فكرة في رأس انسان إلا من خلال نضوج مفهوم الأمومة، وما سميت (عرائس) إلا بحكم المنطق الحياتي الذي سوف تؤول إليه كل فتاة يوماً ما، يوم تكون (عروساً) عند الزفاف.

لكن هذا المفهوم الحياتي الأصيل - في الموضوع والشكل - في غرس (رسالة الأمومة) في قلب الفتاة ووجدانها، منذ بدء الوعي والتفتح على الدنيا وأشياءها ومسمياتها، ثم الاستعداد الذهني والعقلي لمرحلة حتمية لهذه المهمة بالزاج، وإضفاء طابع من الجمال المصطنع لامتلاك قلب الزوج وعقله، بالزينة وغيرها.

هذا المفهوم كان يفقد من خلال الخط البياني للانسانية ذروة الصعود وبلوغ القمم أحياناً، فلا نراه إلا هابطاً منحدراً، وذلك عندما يهمل (المحتوى الموضوعي)، ويغفل عن (الرسالة الأصلية)، ولا يرى في (الأنثى) إلا جانب (الشكل)!!.

الجانب الذي يثير الغرائز الحيوانية، وجماع الشهوة، ويغطي بدخانه الأسود، ولهيبه الأحمر ضوء الحقيقة الانسانية، وفضيلة الرسالة.

ولسنا في معرض الحديث المطول الشامل عن الأمم أو الفترات التاريخية والحقب الزمنية التي تدنى فيها الخط البياني بالنسبة إلى فقدان التوازن في النظر إلى كيان (المرأة).

ويكفينا أن نعرض لواقع تاريخي واحد للتدليل على ذلك، فالقصر الروماني بقانونه الشهير!!؟ وحضارته الرائعة. كما يدعى ويقال ـ رغم تبوئه في التاريخ القديم، قبل الميلاد، مركز الصدارة بين الأمم القديمة، الفارسية واليونانية والفرعونية... ، قد وقع في أحبولة اللذة وشراك الشهوة، من

حيث (زين) له الشيطان سوء عمله... ، فاتخذ من جسد المرأة تمثالاً ومثالاً!!!.

(تمثالاً) يعكف عليه ويحتذيه وينحت أجزاءه الشكلية بدقة وعناية، (ويزينه) بكل براعة، حتى سمي هذا العمل (فناً)... افتراء!!.

كما اتخذه (مثالاً) في واقع دنياه، ومناحي معاشه وحياته، في عري... وزينة.. ، وحلي... ، في البيوت ... ، وفي القصور... ، والأندية والملاعب وكل مكان.. .

وتحضرني قصة أسر (زنوبيا) ملكة (تدمر)، فقد قيل إنها بعد محاربتها للرومان، ووقوعها في الأسر واقتيادها إلى (روما) قيدوها بسلاسل ذهبية من باب الإكرام لمقامها الملكي، هكذا تروي لنا كتب التاريخ... ، غير أن الواقع المستخلص من الحادثة لا يعدو حقيقة (الزينة)!!!، فقد كانت (زنوبيا) على جانب عظيم من الجمال الفاتن، وكانت ترتدي إذ ذاك الزي الروماني، الذي يكشف عن مفاتن الجسد أكثر مما يستر، فما زادها القيد الذهبي (هيبة مقام) بقدر ما

زادها (فتنة) وإغراء، وأضحت بهذا التصرف (مثالاً)... ! وهذا ما أراده الرومان، بحكم المفهوم المألوف والعرف المتبع لا أكثر ولا أقل.

وفي العصر الحالي، بحضارته المادية وتفوقه العلمي نرى أن الأنثى ككيان إنساني نادراً ما تحظى في الفكر العالمي عامة بمختلف وسائله وأساليبه في الإعلام والنشر والتوجيه، بقسط من الاهتمام لحقيقة دورها ورسالتها في الحياة.

لقد أغفل (الموضوع) أو(المحتوى) إلى حد كبير، وعكف على (الشكل... ، إذ طمت دور الأزياء، وتعددت مصانع الزينة، وأنتجت مختلف الابتكارات، وعمت البلوى... .

وإني لألحظ أحياناً ما يقدم للأنثى من غذاء فكري وعقلي وعاطفي من خلال المجلات الخاصة بها - كما يقال ويعلن - فأجد أبواب الاهتمام بالشكل من ناحية الأناقة والزينة والرشاقة وغيرها، تغطي أكبر مساحة... ، وقليلاً ما تستخلص (الأنثى) دسماً، بل نجد أكثر المعروض سماً ناقعاً.

ولقد راج مألوف (دمية العصر) عرفاً وتقليداً، وسرى بحكم قصر المسافات وسرعة المواصلات في شتى أرجاء العالم، فما من مبتكر مستحدث إلا ونراه قد بلغ أقصى الأرض في سرعة البرق...

ومسخت (الدمية) أيضاً في صورة (وسيلة) من وسائل الإعلان لترويج أي بضاعة، ومطلق صنف من الأصناف، مستغلة الصورة من جوانب الإثارة الجنسية، فتبدو في ذلك محشورة حشراً من غير داع ولا ضرورة، وما عليك لملاحظة هذه الظاهرة سوى مشاهدة إعلان واحد في التلفزيون أو الجرائد والمجلات!!!.

٣٣ سبباً لاهمية الرجل والحب اخرها

النسـاء الأوروبيات، يتمسكن بالرجل في حياتهن لأسباب يصل عددها إلى ٣٣ سببا!! ليس الحب أولها بل في ذيل القائمة!!

... جاءت هذه الحقيقة من خلال ندوة في صفحة المرأة على الإنترنت، اتسمت بخفة الظل والصراحة، والتلقائية والصدق والعفوية، عندما أجابت كل امرأة عن سبب لأهمية وجود الرجل في حياتها!!

بدءا بمساعدتها في الأعمال المنزلية القاسية ومرورا باستكمال المنظر الرائع للأسرة السعيدة أمام الناس، ونهاية بأهميته في إنجاب الأطفال والاستمتاع بحب الشريك الآخر!

وجاءت الإجابات تثير الدهشة تارة، وتثير الضحك تارة أخرى، لصراحتها!!

وهاهي الأسباب الـ٣٣ لأهمية وجود الرجل في حياة المرأة الأوروبية...

- من أجل أن يرشدني إلى الطريق السليم، في حياتي، فهو حقيقة قد يفقدني اتزاني من شدة الضغط العصبي الذي يسببه لي، إلا أنني اعترف بأنه في النهاية قادر على إعادة توازني النفسي من جديد، واعادة الهدوء إلي حياتي مرة أخرى... وبطريقة متزنة واثقة.!!
- من أجل أن يشرح لي بسرعة، الفرق بين ضربة الجزاء في لعبة كرة القدم والإنذار والكارت الأصفر!! فالرجل يعرف أشياء لا تهتم بها المرأة ولكن تحب أن تعرفها في وقتها، ووجود الرجل في حياتي، يمكن أن يفهمني ما أريد فهمه بسرعة وبدون اضطراري للجوء إلي القراءة، فوجوده يسهل لي كثيرا من الأمور!
- الرجل مهم جدا في حياتي، علي الأقل من أجل إصلاح السيارة وتغيير البطارية وملء خزان الوقود!!
- الرجل مهم في حياتي لأنه، على الأقل، يحاول أن يسمعني وأنا غاضبة ويقوم بدور المحلل النفسي في حياتي، فالرجال يجيدون الإنصات ولو حتى بلا اهتمام حقيقي!

- من أجل أن يجاملونا بنفاق سافر وهادئ!
- ويقولون لنا ـ بلا ضحكة واحدة ـ: إن هذا الطبق المدهش الخارج توه من الفرن والمحروق من السطح وغير الناضج من الداخل، هو أمتع طبق أكله في حياته!! لينهي بذلك كل مناقشة... وأية مناقشة!
- من أجل خداعنا، وإيهامنا بأنه لولا وجودنا في حياتهم لأصبحوا يعيشون في صحراء قاحلة!! فنحن النساء نعشق كثيرا من يخدعنا!
- من أجل أن يكونوا لنا الوحي، فلولا الرجال، كيف سيكون حديثنا مع بعضنا البعض، فالرجل هو محور الحديث بين النساء الصديقات فهو محور حديثنا الحزين مرة، والمضحك مرة والساخر مرات كثيرة!
- من أجل أن يقدموا لنا بين الحين والحين، أنواعا غريبة من الورود التي تعودوا إهداءها لأمهاتهم!! فهي لا ترضي أذواقنا أبدا.

- الرجال مهمون جدا لاستكمال دورهم في الحياة كآباء، في مرافقة الأطفال للمدارس خاصة في الشوارع المزدحمة وأيام البرد القارس، أو تركيب جهاز الكاسيت لابنة، أو إصلاح لعبة لابن صغير، فمن غيرهم يمكنه أن يقوم بتلك الأعمال المزعجة التي يطالبنا بها الأبناء ؟!
- من أجل أن يساعدونا في تصريف أمورنا الاقتصادية وملء استمارة التأمين أو الضريبة على الدخل، فهم يفهمون أكثر...
- من أجل ترديد سخافات تملأ البيت ضجيجا، مثل ماذا أعددت لنا على العشاء ؟ هل تنتظرين لعام ٢١٠٠ لتستخدمي المكنسة الكهربائية ؟؟ أو هل تنوين فعلا الخروج معي بهذه الهيئة أو أطفالك لم يأخذوا حمامهم بعد الآن! أو أنا أنتظرك منذ ساعة، فلماذا تتأخرين دائما ؟!
- ... فهي كلها أسئلة وتعليقات قاتلة مزعجة ولكنها لا تسبب الموت في معظم الأحيان!

- وجود الرجال مهم حتى يستوعبوا غضبنا وصبرنا عندما ينفد من سخافاتهم!
- هم مهمون لأننا نتشاجر معهم... فمع من نتشاجر إذن عندما يختفون ؟!
- هم مهمون جدا عندما يتصالحون معنا بعد شجار عنيف، فهم يكونون دائما غاية في اللطف والغرابة وحتى السذاجة! وهذا يمتعنا!
- هم في الحقيقة مهمون جدا، من أجل أن يعيدوا لنا، نحن النساء، ثقتنا بأنفسنا، فكل امرأة يمكن أن تترك نفسها للقبح والإهمال والسمنة والترهل والعجز والإحباط، في عدم وجود رجل في حياتها... فالرجل مهم أن يكون بجوار المرأة، فمجرد وجوده فقط يشعرها بأنوثتها وبضرورة اهتمامها بمظهرها!
- لأن الرجال في النهاية، مختلفون في الشكل والمظهر والشخصية والسلوك، فهو يعطينا إحساسا متغيرا متجددا دائما، ويبعدون عنا بهذه الطريقة الملل..!!

- من أجل إن يعاتبونا على هفواتنا الصغيرة وغير المقصودة ويسامحوننا عليها..
- ومن أجل أن نسامحهم، فالرجال يعشقون في المرأة قدرتها علي التسامح وعلى المغفرة ونسيان أخطائهم المدمرة!!
- الرجال مهمون ليزيحوا عن كاهل المرأة مسؤولية الشجار مع الآخرين، فعندما تتعالى صرخات الرجل في أي موقف يحتاج للصراخ مثلا عندما يصرخ الزوج في وجه المعلمة التي ضربت ابنه، أو عمال الصيانة في المنزل عندما يضطرون للعمل بهمة ونشاط خوفا من صراخ صاحب البيت!
- كلها أمور تريح المرأة لأنها فيها، تعتمد على الرجل!!
- الرجال مهمون من أجل استكمال إجراءات الزواج فهم النوعية التي وللأسف، نوافق على الزواج بهم!!
- من أجل ممارسة الرياضة معهم، فالزوج خير رفيق لزوجته في ممارستها لرياضتها المفضلة مثل التنس أو السير علي الأقدام أو السباحة، حتى لا تكون وحيدة فتشعر بالسأم والضجر!!

- الرجال مهمون في إصلاح كل ما يتلف في المنزل، فيمكنه أن يعيد قدم منضدة إلى مكانها، أو يسد ثغرة في الحائط هشمتها صورة مثلا!
- أو يصلح صنبور مياه في الحوض، أو يغير لمبة كهربائية حرقت فجأة!! فهو هنا دائما للطوارئ!!!
- هو مهم، من أجل أن يمسك بيدي في الزحام ويقودني إلى مكان هادي سواء في احتفال أو في صالة سينما مزدوجة تعج بالبشر!!
- وجودهم مهم في حياتنا، فبدونهم يمكن أن نخرج للشارع بشعر أشعث، ونكتفي في طعامنا بالقليل جدا، والجاهز والبارد في بعض الأوقات، يمكن أن نرتدي أزياء مرتجلة ورياضية ولا نهتم بأنفسنا، فيجب أن نعترف أن وجود الرجل يجعلنا نبدو دائما في أحسن مظهر لائق!
- هم مهمون، من أجل توزيع مسؤولية المنزل على شخصين بدلا من شخص واحد فذلك متعب بلا شك وغير إنساني!!

- من أجل أن ننجب منهم أطفالا ، وهي أكثر المخلوقات بهجة في الحياة!
- ليجعلونا نضحك على نكاتهم السخيفة والمكررة!
- هم مهمون من أجل تقديمهم بهجة الأحلام، ونحن نحلم بهم، ونحن ننتظر مكالمة تليفونية ناعمة منهم فعلينا أن نعترف أنهم يجعلوننا نعيش في قصة حب جميلة!!
- من أجل إغاظتنا بتصرفات حمقاء سخيفة، عندما يترك الزوج جواربه المستعملة أسفل السرير، أو عندما يقرأ الجريدة حتى قبل أن يقول صباح الخير!
- الرجال مهمون لحمايتنا من أخطار الطريق، وسرقة المنزل ومعاكسة المتطفلين!!
- من أجل ضمان خدمة جيدة بالمطعم فالرجل يضفي على الجلسة فخامة، على الأقل لان الساقي سيحترم وجوده أكثر من امرأتين بمفرديهما!
- هو مهم من أجل أن يهتم بحقائبك داخل المطار، أو محطة السكة الحديد عند الرجوع من رحلة! ومن أجل دفع فاتورة

حساب المطعم أو المقهى، وهو مهم دائما عندما يلعب دور الفارس النبيل الهمام!

- الرجال مهمون جدا في إنزال القمامة يوميا من المنزل وحتى الشارع، على الأقل، هم يساعدوننا في أكثر المهام المنزلية مشقة!
- ولكن، المرأة المصرية، كانت بالغة الحكمة، ودقيقة، وذكية بالفطرة، عندما أجملت أهمية وجود الرجال في حياتها في سبب واحد، داخل عبارة حكيمة من خمس كلمات هي: ظل رجل ولا ظل حيطة .

هل تغيّر عالم المرأة..؟

إن عالم اليوم غير عالم الأمس، والعصر الذي عاش فيه آباؤنا وأجدادنا قد ولى إلى غير رجعة.. فزوجة اليوم غير زوجة الأمس، وأم الجيل الجديد غير أم الجيل القديم.

لم تعد المرأة زوجة وأماً فحسب، ولم يعد دورها مقصوراً على إنجاب الأطفال وتربيتهم والإشراف على شئون البيت..لم تعد امرأة القرن الجديد تلك الملكة التي تجلس على عرش مملكتها الصغيرة داخل جدار بيتها الذي لا تبرحه..فقد خرجت وتعلمت وعملت، وأصبحت تنافس الرجل في بعض ميادين الحياة..

أعباء جديدة

فقد نجحت المرأة في إثبات ذاتها في المجتمع، ولكنها في نفس الوقت أضافت إلى أعبائها ،أعباء جديدة..

وقد أدى هذا إلى الحيرة التي تملكتها في كثير من الأحيان وهي ترى جهدها موزعاً بين واجباتها كزوجة وأم وعاملة في وقت واحد.. وتطوع الكثيرون لمساعدتها بآرائهم وأبحاثهم التي امتلأت بها الصحف.. وصدرت الكتب العديدة التي تحمل آراء الباحثين والأخصائيين والاجتماعيين.وكانت كلها تجيب على سؤالها الحائر..

((كيف أستطيع أن أوفق بين واجباتي كزوجة وأم في البيت وبين عملي خارج البيت؟؟!!))

تضحية...ولكن!!

وقرأت المرأة ما قدموه لها من نصائح..

فإذا بها تحمل نفس الطابع التقليدي الممل:

((ليس لدينا يا سيدتي رأي متفق عليه، فلكل امرأة ظروفها الخاصة.. ولا بد لها أن تكيف حياتها وفقاً لهذه الظروف..فإذا وجدت عملك خارج البيت يتعارض مع واجباتك في البيت، فلابد أن تضحي بعملك من أجل سعادة بيتك وزوجك وأطفالك..))..

وكان واضحاً أن هذا الرأي لم يجب على تساؤل المرأة ، ولا هو قدم حلاً لمشكلاتها، وإنما فرض عليها تضحية لابد منها..فهي تريد فعلاً أن تعرف كيف تستطيع أن تنسق بين واجباتها الثلاثة..!! ولكنها لم تشر إطلاقاً إلى استعدادها للتضحية بأي من هذه الواجبات..!!

تفكير المرأة

وقبل أن ننقل رأي الأخصائيين في هذه التضحية نتوقف قليلاً لنستعرض ..

تفكير المرأة اليوم.ونعني بها امرأة القرن الجديد.وكيف تنظر إلى مستقبلها وحياتها وسط هذا العالم المتطور المتغيّر.!

لقد تمتعت المرأة، بحق التعليم في جميع مراحله، وهي ليست على استعداد في الغالب لأن تضحّي بهذا الحق مقبل أي شئ، حتى لو كان الزوج نفسه، الذي كثيراً ما يحدث أن يدق بابها وهي لم تكمل تعليمها الجامعي..

فنجدها تقف موقفاً ..فتسرُّ لوالديها برغبتها ((لا مانع عندي من أن تعلن الخطوبه.ولكنني أرى ألا يتم الزواج ، قبل أن أكمل مرحلة تعليمي الجامعي..!))

التعليم ضمان للمستقبل

فهي تشعر أن تخرجها وحصولها على شهادة جامعية، هو خير ضمان لحياتها ومستقبلها حتى بعد الزواج: أو كما تقول الأخصائية الاجتماعية الدكتورة ماريون ليرد((أن التعليم وسيلة من الوسائل التي أعادت للمرأة ثقتها بنفسها، ونمت فيها تلك الرغبة التي طالما تاقت لتحقيقها، وهي أن تسهم في تنمية وتطوير مجتمعها..لا بإنجاب وتربية الأطفال تربية صالحة فحسب.. بل والمشاركة في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي أيضاً..تلك التي كانت مقصورة على الرجل...

كآبة الأمومة بعد أول مولود

أحيانا خلال العشرة أيام الأولى التي تلي الولادة يشكو العديد من النساء إن لم يكن أكثرهن من "كآبة الأمومة" وهي نوبة إعياء تتراوح مدتها بين الساعة والنهار الكامل. تستمر هذه الحالة من يوم إلى ٣ أيام ، وقد تدوم أكثر من ذلك. الإرهاق والشعور بالإعياء شيئان عاديان وقد يكون هناك شعور بالقلق والصداع الخفيف والاضطراب. إنه لمن الطبيعي أن تشعري بشي من الإعياء بعد الشعور المثير بالأمومة. وتشعر أمهات عديدات خصوصا إذا كان طفلهن هذا أول طفل لديهن بأن ليس بمقدورهن القيام بمسؤولية العناية به ، فتضعف عزيمتهن ويشعرن بأنهن مذنبات لأنهن لا يتمكن من إتمام كل ما يجب عليهن إتمامه.

لا تلومي نفسك لشعورك بالتعب أو لأنك لست الأم أو الزوجة الصالحة كما تودين أن تكوني. تذكري أنك قد مررت بتجربة شاقة وأن تغييرات سريعة تحدث في جسدك وأن

عودتك إلى قواك الكاملة قد يستغرق بعض الوقت. وعلى الرغم من إن طفلك قد يبدو ضعيفا فالحقيقة هو أنه إنسان قوي. وطالما أنه ينال ما يكفي من المحبة والتغذية والراحة التامة فهو لا يبالي أبدا إذا كنت أنت أو أفراد عائلتك أقل من خبراء بشأن العناية به. فالحنان الذي تعطينه أنت هو أهم بكثير من معرفتك وخبرتك بتغيير حفاضاته بمهارة أو حمله والانتقال به من مكان إلى آخر بطريقة صحيحة.

لماذا يزعزع المولود الأول استقرار الأسرة ؟

تعتبر المرحلة السابقة على إنجاب الأطفال مختلفة كلياً عن المرحلة بعد إنجاب أول مولود ، ولذلك كان على الزوجين أن يتزودوا بالمهارات العديدة لاستمرار الاستقرار والهدوء ، وينعما مع أبنائهما بالسعادة والمحبة .

مع وصول الطفل الأول يواجه زواجك مجموعة من التحديات ، فلم يبق هناك وقت كاف لكلا الزوجين خصوصاً مع اضطراب قائمة الأولويات لديهما ، وقد أكدت الدراسات أن ٦٧٪ من الأزواج يمرن بفترة فتور وخلافات بعد ولادة أول طفل و٣٣٪ فقط من الأزواج يمرون بسلام في تلك المرحلة .

وقبل أن نقترح عليك أهم الوسائل لحياة سهلة وسلسلة نطرح عليك هذا السؤال.. وبمعنى أدق هذا الاختبار .

هل تعرف شريك حياتك جيداً ؟

استخدم الاختبار التالي من أجل قياس مدى معرفتك بشريك حياتك .

اسأل شريك حياتك، هذه الأسئلة العشرين وإذا أجاب إجابة صحيحة (من وجهة نظرك) يحصل على نقطة – والعكس كذلك – وإذا حصل كلاهما على أقل من ١٠ نقاط فإنك تحتاج إلى مزيد من الوقت للتعرف إلى شريكك :

١- ما الضغوط التي أواجهها الآن ؟

٢- ما الذي يجعلني أشعر بالمزيد من المنافسة؟

٣- صف بالتفصيل ما قمتُ به اليوم أو أمس .

٤- ما أجمل أحلامي التي لم تتحقق؟

٥- ما العمل الذي أعتبره مثالياً (عمل أي وظيفة) ؟

٦- ما الذي يحزنني كثيراً ؟

٧- ما أفضل الطرق لتهدئة أعصابي وتعطيني شعوراً بالاسترخاء ؟

٨- اذكر اسم شخصية أعجبتُ بها كثيراً .

٩- ما الشيء الذي يخيفني كثيراً ؟ .

١٠- ما أفضل وقت في اليوم بالنسبة لي لممارسة العلاقة الجنسية؟

١١- ما أفضل مكان أحب أن أختلي فيه بنفسي؟

١٢- ما أكثر اللحظات إحراجاً ؟

١٣- اذكر اسم شخص لا أحب التعامل معه !

١٤- ما المكان المفضل عندي لقضاء الإجازات؟

١٥- اذكر واحدة من هواياتي .

١٦- ما أقسى تجاربي من الطفولة وأسوأها؟

١٧- من المساند الرئيسى لي (غيرك) ؟

١٨- ما المطعم المفضل لديّ ؟

١٩- ماذا كنت أرتدي عندما تقابلنا أول مرة ؟

٢٠- ما طريقتي المفضلة في قضاء أمسية سعيدة ؟

أطفال وأسر سعيدة

في دراستين أجريتا على مدى ١٠ سنوات في الولايات المتحدة، وجد أن أطفال الآباء غير السعداء لديهم معدلات أعلى لضربات القلب أثناء اللعب ولا يستطيعون تهدئة أنفسهم، وبمرور الوقت تؤدي الخلافات العائلية إلى انخفاض التحصيل الدراسي بغض النظر عن ذكاء الأطفال، أما الآباء السعداء عاطفياً، فيكون أداؤهم الدراسي والاجتماعي أفضل، لأن والديهم قدموا لهم نموذجاً عن كيفية معاملة الآخرين وكذلك كيفية التعامل مع المشكلات العاطفية .!

ولهذا وجب على الآباء البحث عن أفضل السبل لح خلافاتهم الأسرية بصورة سريعة وأكثر تعقلاً من أجل تربية أبناء سعداء، ولهذا نقدم لك بعض الوسائل لتمر خلافاتكم الأسرية بسلام وخاصة بعد وصول الطفل الأول .

معاً نحو الأمومة : عزيزي المربي

إن أهم شيء هو انتقالك مع زوجتك إلى المرحلة الجديدة، فالمرأة تمر بمراحل تغير فسيولوجي ولكن الرجل لا يمر بهذه المرحلة بسهولة، فمرحلة الأبوة مرحلة صعبة، ومن السهل تسلل التوتر والضغوط بين الزوجين، ولكن إذا اتفق الزوجان على تحمل المسؤولية معاً، فإن هذا يعني استمرارية العلاقة الناجح.

التفهم ثم التفهم

وجدت الدراسات أنه من المهم جداً أن يفهم الزوجان أهداف وآمال ومخاوف كل منهما وكذلك تفاصيل حياته اليومية، وعلى كل منهما أن يعتاد التحدث إلى شريكه حتى يعرف بماذا يفكر ويشعر، حتى يستطيع حماية الزواج من أي اضطراب.

لا تصعّد الموقف

لا يُنكر وجود الخلاف، ولكن المهم تفادي النقد والسخرية والاندفاع، فالأزواج غير السعداء كثيراً ما يبدؤون الشجار بالاتهامات مثل: لماذا أنت أناني دائماً؟ هذه العبارة تجعل الطرف الآخر يبدأ في الدفاع، ومع تصاعد سخونة الشجار، يظهر على أحد الطرفين أو كليهما أعراض التوتر والضغط، كعرق راحة اليد وسرعة نبض القلب، مما يؤدي إلى انتكاسة عاطفية، ثم يتخلص من الموقف بالانسحاب لمشاهدة التلفزيون أو قراءة كتاب، و(٨٠٪) من حالات الزواج يقوم الزوج بهذا الدور.

الأزواج السعداء لا يصلون إلى هذه الدرجة أبداً، فهم قادرون على عدم تصعيد الموقف.

ساعات على الأقل

وجد أن الأزواج السعداء يخصصون (٥) ساعات أسبوعياً على الأقل لحياتهم الزوجية، وهذا الوقت ليس كثيراً ولكنه يصنع المعجزات، ونوصي الأزواج بـ (٢٠) دقيقة محادثة يومية حتى يعرف كل طرف ما يدور بحياة الطرف الآخر، وكذلك (٥) دقائق ليشعر الطرف الآخر بالمحبة والتقدير.

موعد للحديث

لا بأس بتحديد موعد لقاء أسبوعي مدته ساعتان للحديث مع الطرف الآخر، لا يشعر به كلا الطرفين بالذنب لعدم تضمن الحديث عن شؤون الأولاد، فهذا الحديث سوف يجعل الزوجين أقرب إلى بعضهما، ويزيد روابط المحبة ويقويها.

المهارة العاطفية

ومعنى المهارة العاطفية أن يسعى كل طرف وبأقصى جهده أن يكون عطوفاً وحنوناً ومراعياً لشعور الطرف الآخر، فالمشاركة في الأعمال المنزلية أو قراءة كتاب ما، أو التحدث معاً عما يجري في العالم. كل ذلك يشبه إيداع النقود في البنك، فهؤلاء الأزواج يزيدون دائماً من رصيدهم العاطفي حتى إذا ظهرت أي مشكلات أو اضطرابات فإن هذا يساعدهم على تخطي أي أزمة، ومن هنا تظهر علاقة الصداقة التي يحتاج إليها كل من الزوجين.

كلمة أخيرة

وكلمة أخيرة نهمس بها: إن الزواج الناجح القوي يساعد كلا الزوجين على تحقيق أحلامهما، ويساعدهما على تربية الأولاد ضمن قواعد معينة يتفقان عليها.

تعلّم كيف تحترم الطرف الآخر لتحظى بحياة زوجية سعيدة.

إن مع العُسر يُسرا

قبل الزواج نرسم في خيالنا أن الحياة بعده ستكون بالتأكيد أحلى وأجمل مما هي عليه ، بل تمادى البعض منا فاختصر كل معاني وغايات الزواج بثلاث كلمات فقط هي (حل جميع مشاكلي) .. فشطحوا وشطحن ، وعلّقوا آمالهم وعلّقن .

كيف لا ؟! وكل المشاكل والهموم ستختفي تلقائياً بعد الزواج : فلا أب يتجبر ولا أخوة يتحكمون ولا أم منشغلة ولا حرية مسلوبة ولا رغبات مدفونة ولا حاجات مكبوتة إنما – بالتأكيد – راحة وانطلاق وأمنيات تتحقق ، إنها السعادة ولا شيء غير السعادة .

ويتم الزواج بين شريكين مثاليين أحسنا الاختيار ، وتصدق كل توقعاتهم بداية الأمر ، ثم فجأة ودون مقدمات يحدث ما لم يكن في الحسبان فتنقلب كل التوقعات رأساً

على عقب ، ويصرخ كل منهم في أعماق نفسه : أين ذهبت السعادة ؟ أين تلاشت البهجة ؟ ماذا حل بنا ؟

وإليك عزيزي الزوج وإليك عزيزتي الزوجة الإجابة .

إنها الضريبة

أجل إنها الضريبة الإجبارية يدفعها كلا الزوجين نظير قائمة لا تنتهي من المتغيرات التي تعتري مسيرة حياتهم ، ويأتي على رأس تلك القائمة المولود الأول ، إن هذا المولود ورغم شغف الجميع به ، وانتظارهم المحموم لوصوله ، يحمل في جسده الناعم الصغير ألغاماً موقوتة من التحولات العظيمة الكبيرة ما تلبث أن تنفجر مع أول صرخة من بكائه ، فهو يمنح والده لقب أب ، ويمنح والدته لقب أم ، يرفع من ميزانية المصروفات بشكل واضح ، يستهلك وقت الزوجة وجهدها في إرضاعه والعناية به ، يُبعد الزوج عن معاشرة زوجته لفترة تطول على الشهر ، يؤثر في جمال وجسم المرأة .. إلخ .

كل هذه المتغيرات الرهيبة ناتجة عن شيء نحن بأنفسنا سعينا له ، ورفعنا أكف الدعاء إلى المولى راجين حصوله ، فكيف بالله عليكم بتلك المتغيرات التي تأتينا رغماً عنّا وتعترض مسيرة حياتنا السعيدة رغم ما نبديه تجاهها من مقاومة ، لا شك أن وقعها وتأثيرها السلبي في النفس سيكون أشد وأنكى ، ومثال ذلك :

- التقدم بالعمر .
- فناء الجمال والصحة .
- تزايد عدد الأبناء .
- كبر الأبناء وكبر همهم .
- الفتور في المشاعر .
- الإفلاس في الموارد المالية .
- حادث عارض أدى إلى إعاقة أو تشوه .

هذه وغيرها من المتغيرات التلقائية أو الطارئة تقتحم يومياً وبعنف بهجة الحياة التي نعيشها فتفعل فيها الأفاعيل ، محلية خَضار السعادة إلى يابس التذمر والشكوى والنكد ، ما لم

نتصرف حيالها تصرف الأذكياء العاقلين من الأزواج والزوجات ، وهاكم السر !!

الإنسان العربي

أذكر عبارة للفيلسوف (ركسن) يقول فيها لا تبحث عن السعادة ولكن كن مستعداً دائماً لأن تكون سعيداً .

وكأنه يريد أن يقول إن مشاعر السعادة في حقيقتها نابعة من نفسياتنا ومدى استعدادها لتقبل الأحداث بإيجابية وتفاؤل ، فلا شك في أن كل شيء نراه في حياتنا يحمل دائماً وجهين وتفسيرين ، أحدهما مظلم والآخر مشرق ، والعبرة في فلسفتنا في النظر إلى الأمور .

الإنسان العربي – نواة الأسرة العربية التي ننتمي جميعنا إليها – مشهور بعاطفته وانفعالاته وردود أفعاله الحادة والسريعة مما يفقد معه أقطاب الأسرة في بعض الأحيان زمام السيطرة والتحكم بالواقع ، ونحن نعيش في زمن صعب مختلف يشحن النفس ويضغط على الأعصاب، والحديث عن

انفراج قريب فيه أضحى ضرباً من ضروب العبث وإضاعة الوقت .

وهكذا ، فإن أعظم خطأ نرتكبه في حق أنفسنا وشركاء حياتنا هو تطرفنا في التعامل مع تقلبات الأيام والسنين ، هذا التطرف الذي يتجسد في الأشكال التالية :

(١) تحويل هذا المتغير إلى مشكلة .

(٢) التهويل في حجم المشكلة وتحويلها إلى مأساة وكارثة والانكفاء على الذات حزناً وتأثراً .

(٣) تشعيب المشكلة :

وذلك باختلاق أشياء لم تكن موجودة في المشكلة أصلاً وتحميلها من النتائج أكثر مما تحتمل ، ومحاولة مدها وتفريغها لإفراز مشاكل جديدة قائمة بذاتها ، ولنا أن نتخيل الحالة النفسية لإنسان مغمور بالمشاكل ومنشغل بحلها .

(٤) النظرة السوداوية للأمور :

حيث تصبح كل الأشياء (حتى المفرحة منها) في نظر صاحبنا – أو صاحبتنا – مدعاة للانفعال الغاضب والنكد ، فالنزهة مضيعة للوقت ، والسفر تبذير ، والهدية إسراف ، والحفلة ترف ، والضحكة صخب ، حتى بشرى المولود الجديد تصبح نبأ مزعجاً يستدعي التأفف والضجر .

(5) تجريم الطرف الآخر : حيث يُحمل أحد أطراف الحياة الزوجية الطرف الآخر جزءاً من مسؤولية المشكلة إن لم يكن كلها ، علماً بأن الأخير قد لا يكون له علاقة بالأمر ناهيك عن قريب أو بعيد ، أو أن المسؤولية مشتركة ، فما دخل الزوجة في خسارة زوجها صفقة تجارية حتى يدس لها الاتهامات بأنها هي السبب ؟ وما ذنب الزوج إذا تأزمت الحالة الصحية للزوجة أثناء الحمل والولادة حتى تنظر له بعين العتاب واللوم ؟ وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

